بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

٦٢

البَرَاءُ بنُ مَالِكٍ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

مُقـدِمَة

الحمـد لله رب العـالميـن، والصـلاة والسـلام علـى إمـام المرسلين، وخاتم النبيين، محمد بن عبد الله، وعلى إخوانه، وآله، وأصحابه، ومن سار على دربهم إلى يوم الدين **أما بعـد:**

فإن الإيمان قد رسخ في نفوس الصحابة الكرام فلم يكن لهم من أملٍ في هذه الحياة الدنيا إلا العمل للوصول إلى الجنّة بإرضاء الله، وكانوا يرون أن أسهل الطرق وأقربها هي الجهاد في سبيل الله، ونيل الشهادة مع عدم التقصير في الطرق الأخرى ودون ترك أي مجالٍ يرضى به الله سبحانه وتعالى.

ومن هذا المنطلق انطلق المسلمون نحو الجهاد، واندفعوا نحو العدوّ لا ينظرون إلى ما خلّفوه وراءهم من أهلٍ، ومتاعٍ، ورغباتٍ، وإنما كانت نظرتهم متجهةً إلى الأمام لقتال عدوّهم لتحقيق النصر، وتطبيق منهج الله في الأرض، وهي المهمة المناطة بهم في الدنيا، إرضاءً للّه، وكذلك لنيل الشهادة والوصول إلى الجنة أملاً في نعيم الله.

ومن هنا كان الصحابة، رضوان الله عنهم، جميعاً أصحاب شجاعةٍ فائقةٍ، هم، ومن سار على دربهم في مختلف العصور، وإن كانت هذه الشجاعة تختلف بين صحابي وآخر، فهناك من كانت شجاعته بالثبات في مكانه كالجبال الرواسي، لا تزيحه أعنف الأمواج البشرية المهاجمة، ولا يُحرّكه من مكانه أشدّ اندفاع الأبطال. كأبي بكرٍ، وأبي عبيدة، وعمر، و. . . وهناك من كانت شجاعته في الحركة والانتقال من مكانٍ إلى آخر يحصد في جموع الخصم لا يبالي بمن يقف أمامه، يُجيد المناورة، ويُحسن التخلّص، ويعرف فنون القتال كعلي بن أبي طالبٍ، والحمزة، وأبي دجانة. وهناك من كانت عنده عبقرية في قيادة الجيوش، ومداهمة الخصم، وضرب الميمنة بالميسرة، ومعرفة الحيل، والإقدام كخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن عمرو بن هشام. وهناك من كانت شجاعته بالاندفاع مع عزمٍ لا يُبارى، وإقدامٍ مع حكمةٍ لا تُجارى، والسرعة بالحصد في الخصم مع جرأةٍ لا تُدانى كالزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، والأشتر، والأشعث بن قيس. . .

والإيمان هو أساس هذه الشجاعة، والتصميم والقوة أغصانها فإذا فُقد الإيمان زال التصميم وضاعت القوة فالزبير والمقداد وحدهما مع الإيمان فرّ أمامهما خالد، وعكرمة

وأربعون معهما من المشركين مع وجود القوة والتصميم لديهم مع أنه قد أُشيع ورسخ في نفوس الناس أن خالداً لم تهزم له راية لا في جاهليةٍ ولا في إسلام، إشاعة من غير رأس مالٍ لها، ورسوخ في النفوس من غير معرفةٍ ودون دليل، حباً لخالد، رضي الله عنه، وتقديراً لعبقريته القتالية، وتعظيماً لانتصاراته فهو قاهر الفرس والرومان، ومحطّم الطغاة، والكذابين المتنبئين، والمرتدين.

إن الإقدام هو عنوان المسلمين، والشجاعة صفتهم لذا يصعب التمييز بين شجاعة صحابيٍ وآخر، غير أن بعض الأحداث قد أبرزت رجالاً فذُكروا بتلك الحادثة، وعُرفوا بها واشتهروا على حين بقي أمثالهم في الظلّ إلا إذا وقعت لهم أحداث مشابهة قاموا بها فكلهم رجال ميدان، وكلهم طلاب شهادةٍ، وكلهم سُعاة نصرٍ لتطبيق منهج الله، والحكم بما أنزل. وقد برز البراء بن مالك بما قام به يوم اليمامة، وبما أقدم عليه يوم فتح «تستر».

ونرجو من الله أن نُوفّق بإعطاء صورةٍ صادقةٍ عن هذا الصحابيّ، رضي الله عنه.

إِسْلَامُ البَرَاءِ

البَرَاءُ بنُ مَالِكٍ شقيقُ أَنَس بن مَالِكٍ الّذِي تَحَدَّثْنَا عَنْهُ، وَقَدْ وُلِدَ البَرَاءُ حَوَالَيِ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ قَبْلَ الهِجْرَةِ، فَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ أَخِيْهِ أَنَسٍ بِسَنَتَيْنِ.

أَسْلَمَ البَرَاءُ فِي سِنٍّ مُبَكِّرَةٍ بِتَرْبِيَةِ أُمِّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، الَّتِي أَسْلَمَتْ قَبْلَ الهِجْرَةِ، وَبِذَهَابِ أَبِيهِ مَالِكِ بنِ النَّضْرِ مُغَاضِباً لإِسْلَامِ زَوْجِهِ، فَارّاً مِنْ مُجْتَمَعِهِ، بَقِيَ البَرَاءُ يَخْضَعُ لِتَرْبِيَةِ وَتَوْجِيهِ الأُمِّ فَقَطْ، فَنَشَأَ عَلَى الإِسْلَامِ.

وَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، إِلَى المَدِينَةِ مُهَاجِراً مِنْ مَكَّةَ. وَانْتَقَلَ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ مِنْ دَارِهِ لِيَخْدِمَ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، فَكَانَ البَرَاءُ يَتَرَدَّدُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ لِيَسْتَمِعَ مِنْهُ، وَيَأْخُذَ مُنْهُ، وَيَتَعَلَّمَ، وَكَثُرَ التَّرَدُّدُ لِوُجُودِ أَنَسٍ، وَلِذَهَابِهِ مَعَ أُمِّهِ أَيْضاً لِرُؤْيَةِ أَخِيهِ. وَقَدْ كَانَ فِي هَذَا مَجَالٌ لِيَتَلَقَّى الكَثِيرَ فَغَمَرَ الإِيمَانُ قَلْبَهُ، وَانْطَلَقَ يُرِيدُ

الدَّعْوَةَ، وَنَشْرَ هَذَا الدِّينِ، وَالسَّعْيَ لإِقْبَالِ النَّاسِ لِلإِيمَانِ، وَانْدَفَعَ إِلَى سَاحَاتِ القِتَالِ، فَهِيَ مَيْدَانُ العَمَلِ، وَهِيَ مَجَالُ نَيْلِ الشَّهَادَةِ وَالوُصُولِ إِلَى الجَنَّةِ، وَهِيَ وَسِيلَةُ بِنَاءِ الدَّوْلَةِ، وَتَطْبِيقِ حُكْمِ الإِسْلاَمِ.

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

كَانَ البَرَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الصَّحَابَةِ الصِّغَارِ السِّنِّ إِذْ لَمْ يَكُنْ عُمْرُهُ لِيَزِيدَ عَلَى الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ يَوْمَ وَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، مُهَاجِراً إِلَى المَدِينَةِ لِذَا لَمْ يَشْهَدْ بَدْراً لِصِغْرِ سِنِّهِ، غَيْرَ أَنَّهُ شَهِدَ أُحُدَاً، وبَقِيَّةَ المَشَاهِدِ، وَبَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ غَزْوَةٍ غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، وَلاَ عَنْ سَرِيَّةٍ بَعَثَهَا. وَكَانَ يُقَاتِلُ هَادِئَاً، وَيَنْدَفِعُ نَحْوَ الأَعْدَاءِ صَامِتَاً، وَيُبَارِزُ الأَبْطَالَ، وَيَصْرَعُهُمْ، وَيُجَنْدِلُ الرِّجَالَ دُوْنَ فَخْرٍ، هَمُّهُ الحُصُولُ عَلَى النَّصْرِ لِرَفْعِ رَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَوْ نَيْلِ الشَّهَادَةِ لِيُحَقِّقَ إِخْوَانُهُ النَّصْرَ، وَيُؤَدُّونَ المُهِمَّةَ المُلْقَاةَ عَلَى عَاتِقِهِمْ، وَيَكُونَ العَمَلُ المُتَكَامِلُ. هَذَا رَغْمَ صِغَرِ سِنِّهِ، فَقَدْ انْتَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، مِنْ دَارِ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ إِلَى الدَّارِ البَاقِيَةِ وَلَمْ يَتَجَاوَزِ البَرَاءُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الثَّالِثَةَ وَالعِشْرِينَ مِنَ العُمْرِ. وَمَعَ هَذِهِ السِّنِّ الصَّغِيرَةِ كَانَ البَرَاءُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي مُقَدِّمَةِ الأَبْطَالِ. بَلْ نَسْتَطِيعُ أَنْ نُسَمِّيَهُ مِنَ

الفِدَائِيينَ إِذْ كَانَ يُلْقِي بِنَفْسِهِ عَلَى الأَعْدَاءِ، وَيَبْدَأُ سَيْفُهُ حَصْدَاً فِي رُؤُوسِهِمْ.

مع الصِّدِّيق رضي الله عنه

ارتدَّتْ أَكْثَرُ قَبَائِلِ العَرَبِ بَعْدَ انْتِقَالِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، مِنَ الدَّارِ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ إِلَى الدَّارِ الآخِرَةِ البَاقِيَةِ. وَبُويِعَ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَلِيفَةً لِرَسُولِ اللَّهِ، فَانبَرَى إِلَى المُرْتَدِّينَ يُقَاتِلُهُمْ، فَسَيَّرَ لَهُمُ الجُيُوشَ، وَانْطَلَقَ المُسْلِمُونَ مُجَاهِدِينَ يَنْضَبُونَ تَحْتَ رَايَةِ القَادَةِ، وَانْدَفَعَ البَرَاءُ بنُ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَسَارَ تَحْتَ لِوَاءِ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الَّذِي سَارَ إِلى جِهَةِ اليَمَامَةِ يُقَاتِلُ مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابَ، وَيُعِيدُ بَنِي حَنِيفَةَ إِلَى صَوَابِهِمْ. وَكَانَ بَنُو حَنِيفَةَ يَوْمَئِذٍ كَثِيرِينَ يَزِيدُ عَدَدُهُمْ عَلَى أَرْبَعِينَ أَلْفاً.

وَعِنْدَمَا التَقَى الطَّرَفَانِ، وَدَارَتْ رَحَى الحَرْبِ، هُزِمَ المُسْلِمُونَ، وَوَصَلَ جَمَاعَةُ الكَذَّابِ إِلَى فِسْطَاطِ خَالِدٍ. ثُمَّ تَدَاعَى المُسْلِمُونَ فَقَالَ ثَابِتُ بنُ قَيْسٍ: بِئْسَمَا عَوَّدْتُمْ أَنْفُسَكُمْ يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ! اللَّهُمَّ إِنِّي أَبرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ ـ يَعْنِي

أَهْلَ اليَمَامَةِ ـ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ ـ يَعْنِي المُسْلِمِينَ ـ ثُمَّ جَالَدَ بِسَيْفِهِ حَتَّى قُتِلَ. وَانْدَفَعَ زَيْدُ بنُ الخَطَّابِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، وأَصَابَتْ العُرَوَاءُ البَرَاءَ بنَ مَالِكٍ، وَكَانَتْ تَأْخُذُهُ إِذَا حَضَرَ الحَرْبَ، إِذْ يَرْتَعِدُ، وَيَقَعُ عَلَى الأَرْضِ، ثُمَّ لاَ يَلْبَثُ أَنْ يَنْتَفِضَ، وَيَهُبَّ كَالأَسَدِ. وَقَدْ قَامَ بَعْدَ لَحْظَةٍ مِنْ وَقُوعِهِ عَلَى الأَرْضِ، وَوَثَبَ، وَأَرْعَدَ، وَقَالَ: أَيْنَ يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ؟ أَنَا البَرَاءُ بنُ مَالِكٍ، هَلُمُّوا إِلَيَّ. وَفَاءَتْ فِئَةٌ مِنَ النَّاسِ، فَقَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ حَتَّى غَلَبُوهُمْ ـ بِإِذْنِ اللَّهِ ـ. وَخَلَصَ المُسْلِمُونَ إِلَى مُحَكَّمِ اليَمَامَةِ، وَهُوَ مُحَكَّمُ بنُ الطُّفَيْلِ، الَّذِي قَاتَلَ قِتَالاً شَدِيداً، فَرَمَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِي نَحْرِهِ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ زَحَفَ المُسْلِمُونَ حَتَّى أَلْجَؤُوا بَنِي حَنِيفَةَ إِلَى الحَدِيقَةِ، حَدِيقَةِ المَوْتِ، وَفِيْهَا عَدُوُّ اللَّهِ مُسَيْلَمَةُ الكَذَّابُ، فَقَالَ البَرَاءُ: يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، أَلْقُونِي عَلَيْهِمْ فِي الحَدِيقَةِ. فَقَالَ النَّاسُ: لاَ تَفْعَلْ يَا بَرَاءُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَتَطْرَحُنِّي عَلَيْهِمْ فِيهَا. فَاحْتَمَلُوهُ عَلَى تُرْسٍ، عَلَى أَسِنَّةِ رِمَاحِهِمْ، وَأَلْقَوْهُ فِي الحَدِيقَةِ، فَاقْتَحَمَ إِلَيْهِمْ، وَشَدَّ عَلَيْهِمْ، وَقَاتَلَ حَتَّى افْتَتَحَ بَابَ الحَدِيقَةِ، وَدَخَلَ المُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ، وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى قُتِلَ مُسَيْلَمَةُ الكَذَّابُ عَدُوُّ اللَّهِ، قَتَلَهُ وَحْشِيٌّ ـ قَاتِلُ الحَمْزَةِ بنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ ـ وَرَجُلٌ مِنَ

الأَنْصَارِ، إِذْ دَفَعَ وَحْشِيٌّ عَلَيْهِ حَرْبَتَهُ، وَضَرَبَهُ الأَنْصَارِيُّ بِسَيْفِهِ.

وَجُرِحَ البَرَاءُ يَوْمَئِذٍ بِضْعَةً وَثَمَانِينَ جُرْحاً، لِذَلِكَ أَقَامَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ عَلَيْهِ شَهْراً يُدَاوِي جِرَاحَهُ.

وَاسْتُشْهِدَ أَكْثَرُ مِنْ سِتِمائَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَقُتِلَ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ سَبْعَةُ آلَافٍ فِي فَضَاءِ عَقْرَبَاءِ، وَمِثْلُهُمْ فِي حَدِيقَةِ المَوْتِ.

وَدَخَلَ المُسْلِمُونَ بِلَادَ اليَمَامَةِ كُلَّهَا.

مَعَ الفَارُوقِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

وَبَعْدَ القَضَاءِ عَلَى المُرْتَدِّينَ أَمَرَ الصِّدِّيقُ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ بِالمَسِيرِ إِلَى الفُرْسِ، وَالدُّخُولِ عَلَيْهِم مِنْ جَنُوبِ العِرَاقِ، فَسَارَ خَالِدٌ، وَمَعَهُ البَرَاءُ، وَكَانَتْ هُنَاكَ سَاحَةُ جِهَادِهِ، فَخَاضَ المَعَارِكَ الَّتِي دَارَتْ رَحَاهَا هُنَاكَ.

وَتُوفِّيَ الصِّدِّيقُ، وَتَوَلَّى أَمْرَ المُسْلِمِينَ الفَارُوقُ، وَبَقِيَ البَرَاءُ فِي مَيْدَانِهِ، وَسَارَ المُسْلِمُونَ إِلى «تُسْتَرَ»، وَقَائِدُهُمْ أَبُو سَبْرَةَ بنُ أَبِي رُهْمٍ ابنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَعَلَى أَهْلِ البَصْرَةِ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ، وَعَلَى أَهْلِ الكُوفَةِ النُّعْمَانُ بنُ المُقَرِّنِ، وَكِلَاهُمَا تَحْتَ لِوَاءِ أَبِي سَبْرَةَ. وَتَمَّ حِصَارُ مَدِينَةِ «تُسْتَرَ». وَطَالَ الحِصَارُ، وَكَانَتِ المَعَارِكُ سِجَالاً. وَقَالَ المُسْلِمُونَ: أَقْسِمْ يَا بَرَاءُ عَلَى رَبِّكَ لِيَهْزِمَنَّهُمْ لَنَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ لَنَا، وَاسْتَشْهِدْنِي. فَهَزَمُوهُمْ حَتَّى أَدْخَلُوهُمْ خَنَادِقَهُمْ، ثُمَّ اقْتَحَمُوهَا عَلَيْهِمْ، وَأَرَزُوا إِلَى مَدِينَتِهِمْ، وَأَحَاطُوا بِهَا، فَبَيْنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ،

وَقَدْ ضَاقَتْ بِهِمُ المَدِينَةُ، وَطَالَتْ حَرْبُهُمْ، خَرَجَ إِلَى النُّعْمَانِ رَجُلٌ فَاسْتَأْمَنَهُ عَلَى أَنْ يَدُلَّهُ عَلَى مَدْخَلٍ يُؤْتَوْنَ مِنْهُ. وَكَذَلِكَ رَمَى فِي نَاحِيَةِ أَبِي مُوسَى بِسَهْمٍ، فَقَالَ: قَدْ وَثِقْتُ بِكُمْ وَأَمِنْتُكُمْ وَاسْتَأْمَنْتُكُمْ عَلَى أَنْ دَلَلْتُكُمْ عَلَى مَا تَأْتُونَ مِنْهُ المَدِينَةَ، وَيَكُونُ مِنْهُ فَتْحُهَا، فَآمِنُوهُ فِي نُشَّابَةٍ، فَرَمَى إِلَيْهِمْ بِآخَرَ، وَقَالَ: انْهَدُوا مِنْ قِبَلِ مَخْرَجِ المَاءِ، فَإِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَهَا، فَاسْتَشَارَ، وَنَدَبَ إِلَيْهِ. وَكَانَ مِمَّنْ دَخَلَ المَجْرَى مَجْزَأَةُ بنُ ثَوْر فَلَمَّا خَرَجَ، وَكَانَ أَوَّلَ الدَّاخِلِينَ، شَدَخُوهُ بِصَخْرَةٍ فَقُتِلَ. ثُمَّ خَرَجَ النَّاسُ مِنَ السِّرْبِ، فَخَرَجَ البَرَاءُ، فَقَاتَلَهُمْ فِي جَوْفِ المَدِينَةِ، حَتَّى قُتِلَ، وَقَدْ قَتَلَهُ الهُرْمُزَانُ. وَأَرَزَ الهُرْمُزَانُ إِلَى القَلْعَةِ، وَأَطَافَ بِهِ الَّذِينَ دَخَلُوا مِنْ مَخْرَجِ المَاءِ، فَلَمَّا عَايَنُوهُ وَأَقْبَلُوا قِبَلَهُ قَالَ لَهُمْ: مَا شِئْتُمْ! قَدْ تَرَوْنَ ضِيقَ مَا أَنَا فِيهِ وَأَنْتُمْ، وَمَعِي فِي جُعْبَتِي مِائَةَ نُشَّابَةٍ، وَاللَّهِ مَا تَصِلُونَ إِليَّ مَا دَامَ مَعِي مِنْهَا نُشَّابَةٌ، وَمَا يَقَعُ لِي سَهْمٌ، وَمَا خَيْرُ إِسَارِي إِذَا أَصَبْتُ مِنْكُمْ مِائَةً بَيْنَ قَتِيلٍ أَوْ جَرِيحٍ! قَالُوا: فَتُرِيدُ مَاذَا؟ قَالَ: أَنْ أَضَعَ يَدِي فِي أَيْدِيكُمْ عَلَى حُكْمِ عُمَرَ يَصْنَعُ بِي مَا شَاءَ، قَالُوا: فَلَكَ ذَلِكَ، فَرَمَى بِقَوْسِهِ، وَأَمْكَنَهُمْ مِنْ نَفْسِهِ، فَشَدُّوهُ وِثَاقاً. وَأَوْفَدَ أَبُو سَبْرَةَ وَفْداً فِيهِمْ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ، وَالأَحْنَفُ بنُ قَيْسٍ، وَأَرْسَلَ

الهُرْمُزَانَ مَعَهُمْ، فَقَدِمُوا مَعَ أَبِي مُوسَى البَصْرَةَ، ثُمَّ خَرَجُوا نَحْوَ المَدِينَةِ، حَتَّى إِذَا دَخَلُوا هَيَّئُوا الهُرْمُزَانَ فِي هَيْئَتِهِ، فَأَلْبَسُوهُ كِسْوَتَهُ مِنَ الدِّيبَاجِ الَّذِي فِيْهِ الذَّهَبَ، وَوَضَعُوا عَلَى رَأْسِهِ تَاجَاً يُدْعَى الآذِين، مُكَلَّلاً بِاليَاقُوتِ، وَعَلَيْهِ حُلْيَتُهُ، كَيْمَا يَرَاهُ عُمَرُ وَالمُسْلِمُونَ فِي هَيْئَتِهِ، ثُمَّ خَرَجُوا بِهِ عَلَى النَّاسِ يُرِيدُون عُمَرَ فِي مَنْزِلِهِ، فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَسَأَلُوا عَنْهُ، فَقِيلَ لَهُمْ: جَلَسَ فِي المَسْجِدِ لِوَفْدٍ قَدِمُوا عَلَيْهِ مِنَ الكُوفَةِ، فَانْطَلَقُوا يَطْلُبُونَهُ فِي المَسْجِدِ، فَلَمْ يَرَوْهُ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا مَرُّوا بِغِلْمَانٍ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ يَلْعَبُونَ، فَقَالُوا لَهُمْ: مَا تَلَدُّدُكُمْ[1]؟ تُرِيدُونَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ؟ فَإِنَّهُ نَائِمٌ فِي مَيْمَنَةِ المَسْجِدِ، مُتَوَسِّدٌ بُرْنُسَهُ - وَكَانَ عُمَرُ قَدْ جَلَسَ لِوَفْدِ الكُوفَةِ فِي بُرْنُسٍ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ كَلَامِهِمْ وَارْتَفَعُوا عَنْهُ، وَأَخْلَوْهُ نَزَعَ بُرْنُسَهُ ثُمَّ تَوَسَّدَهُ فَنَامَ - فَانْطَلَقُوا وَمَعَهُمْ النَّظَّارَةُ، حَتَّى إِذَا رَأَوْهُ جَلَسُوا دُونَهُ، وَلَيْسَ فِي المَسْجِدِ نَائِمٌ أَوْ يَقْظَانُ غَيرَهُ، وَالدُّرَّةُ فِي يَدِهِ مُعَلَّقَةٌ، فَقَالَ الهُرْمُزَانُ: أَيْنَ عُمَرُ؟ فَقَالُوا: هُوَذَا، وَجَعَلَ الوَفْدُ يُشِيرُونَ إِلَى النَّاسِ أَنِ اسْكُتُوا عَنْهُ، وَأَصْغَى الهُرْمُزَانُ إِلَى الوَفْدِ، فَقَالَ: أَيْنَ حَرَسُهُ وَحُجَّابُهُ عَنْهُ؟ قَالُوا: لَيْسَ لَهُ حَارِسٌ وَلَا حَاجِبٌ، وَلَا كَاتِبٌ وَلَا دِيوَانٌ، قَالَ: فَيَنْبَغِي

(١) التّلدّد: التلفت يميناً وشمالاً.

لَهُ أَنْ يَكُونَ نَبِيّاً، فَقَالُوا: بَلْ يَعْمَلُ عَمَلَ الأَنْبِيَاءِ، وَكَثُرَ النَّاسُ، فَاسْتَيْقَظَ عُمَرُ بِالجَلَبَةِ، فَاسْتَوَى جَالِساً، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الهُرْمُزَانِ، فَقَالَ: الهُرْمُزَانُ، قَالُوا: نَعَمْ، فَتَأَمَّلَهُ وَتَأَمَّلَ مَا عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، وَأَسْتَعِينُ اللَّهَ! وَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذَلَّ بِالإِسْلَامِ هَذَا وَأَشْيَاعَهُ، يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ تَمَسَّكُوا بِهَذَا الدِّينِ، وَاهْتَدُوا بِهَدِي نَبِيِّكُمْ، وَلاَ تُبْطِرَنَّكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَرَّارَةٌ. فَقَالَ الوَفْدُ: هَذَا مَلِكُ الأَهْوَازِ، فَكَلِّمْهُ، فَقَالَ: لاَ، حَتَّى لاَ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنْ حُلْيَتِهِ شَيْءٌ، فَرَمَى عَنْه بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِ إِلاَّ شَيْئاً يَسْتُرُهُ، وَأَلْبَسُوهُ ثَوْباً صَفِيقاً، فَقَالَ عُمَرُ: هِيهْ يَا هُرْمُزَانُ! كَيْفَ رَأَيْتَ وَبَالَ الغَدْرِ وَعَاقِبَةَ أَمْرِ اللَّهِ! فَقَالَ: يَا عُمَرُ، إِنَّا وَإِيَّاكُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ كَانَ اللَّهُ قَدْ خَلَّى بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، فَغَلَبْنَاكُمْ إِذْ لَمْ يَكُنْ مَعَنَا وَلاَ مَعَكُمْ، فَلَمَّا كَانَ مَعَكُمْ غَلَبْتُمُونَا. فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّمَا غَلَبْتُمُونَا فِي الجَاهِلِيَّةِ بِاجْتِمَاعِكُمْ وَتَفَرُّقِنَا. ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: مَا عُذْرُكَ وَمَا حُجَّتُكَ فِي انْتِقَاضِكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ؟ فَقَالَ: أَخَافُ أَنْ تَقْتُلَنِي قَبْلَ أَنْ أُخْبِرَكَ، قَالَ: لاَ تَخَفْ ذَلِكَ. وَاسْتَسْقَى مَاءً، فَأُتِيَ بِهِ فِي قَدَحٍ غَلِيظٍ، فَقَالَ: لَو مِتُّ عَطَشاً لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَشْرَبَ فِي مِثْلِ هَذَا، فَأُتِيَ بِهِ فِي إِنَاءٍ يَرْضَاهُ، فَجَعَلَتْ يَدُهُ تَرْجُفُ، وَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ أُقْتَلَ وَأَنَا أَشْرَبُ المَاءَ، فَقَالَ

عُمَرُ: لاَ بَأْسَ عَلَيْكَ حَتَّى تَشْرَبَهُ، فَأَكْفَأَهُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَعِيدُوا عَلَيْهِ، وَلاَ تَجْمَعُوا عَلَيْهِ القَتْلَ وَالعَطَشَ، فَقَالَ: لاَ حَاجَةَ لِي فِي المَاءِ، إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَأْمِنَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: إِنِّي قَاتِلُكَ، قَالَ: قَدْ آمَنْتَنِي! فَقَالَ: كَذَبْتَ! فَقَالَ أَنَسٌ: صَدَقَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، قَدْ آمِنْتَهُ، قَالَ: وَيْحَكَ يَا أَنَسُ! أَنَا أُؤَمِّنُ قَاتِلَ مَجْزَأَةَ وَالْبَرَاءَ! وَاللَّهِ لَتَأْتِيَنَّ بِمَخْرَجٍ أَوْ لأُعَاقِبَنَّكَ! قَالَ: قُلْتُ لَهُ: لاَ بَأْسَ عَلَيْكَ حَتَّى تُخْبِرَنِي، وَقُلْتُ: لاَ بَأْسَ عَلَيْكَ حَتَّى تَشْرَبَهُ، وَقَالَ لَهُ مَنْ حَوْلَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَأَقْبَلَ عَلَى الهُرْمُزَانِ، وَقَالَ: خَدَعْتَنِي، وَاللَّهِ لاَ أَنْخَدِعُ إِلاَّ لِمُسْلِمٍ؛ فَأَسْلَمَ، فَفَرَضَ لَهُ عَلَى أَلْفَيْنِ، وَأَنْزَلَهُ المَدِينَةَ[1].

كَانَ فَتْحُ مَدِينَةِ «تُسْتَرَ» فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ عَشْرَةَ مِنَ الهِجْرَةِ، وَبِذَا يَكُونُ عُمْرُ البَرَاءِ بنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَوْمَ اسْتُشْهِدَ لاَ يَزِيدُ كَثِيراً عَلَى الثَّلاَثِينَ. وَقَدِ اشْتُهِرَ أَنَّهُ قَتَلَ فِي حُرُوبِهِ مِائَةَ رَجُلٍ مِنَ الشُّجْعَانِ مُبَارَزَةً.

وَذُكِرَ عَنْ أَنَس أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَخِيهِ البَرَاءِ وَهُوَ يَتَغَنَّى فَقَالَ: تَتَغَنَّى؟ قَالَ: أَتَخْشَى عَلَيَّ أَنْ أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِي وَقَدْ قَتَلْتُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفَساً مِنَ المُشْرِكِينَ مُبَارَزَةً، سِوَى مَا شَارَكْتُ فِيهِ

(١) تاريخ الطبري ـ المجلد ٤ أحداث سنة ١٧.

المُسْلِمِينَ؟.

رَضِيَ اللَّهُ عَنِ البَرَاءِ بنِ مَالِكٍ، وَصَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، جَمِيعاً.